روائع القصص العالمية

أوليفر تويست

تشارلز ديكنز

أكاديميا

روائع القصص العالمية

أوليفر تويست

إعداد

ماغالي الحاج

أكاديميا
بيروت - لبنان

أوليفر تويست

حقوق الطبعة العربية © أكاديميا إنترناشيونال، 2017

ISBN: 978-9953-37-937-1

جميع الحقوق محفوظة
All Rights Reserved

الناشر

أكاديـميا إنترناشـيونال
فردان، شارع رشيد كرامي
بناية بنك بيبلوس، ط8
ص.ب 113-6669
بيروت 2140 1103 لبنان

Academia International
Verdun,Rashid Karameh St.
Byblos Bank Bldg., 8th Fl
P.O. Box 113-6669
Beirut 1103 2140 Lebanon

هاتف Tel. (+961 1) 800811 - 862905 - 800832
فاكس Fax (+961 1) 805478

بريد إلكتروني E-mail academia@dm.net.lb
info@kitabalarabi.com

www.academiainternational.com
www.kitabalarabi.com

أكاديميا هي العلامة التجارية لأكاديميا إنترناشيونال ش.م.ل.
ACADEMIA is the Trade Mark of Academia International S.A.L.

المحتويات

اليتيم الحزين 4
مبتدئ عند متعهّد دفن الموتى 8
أوليفر يلجأ إلى لندن 10
أوليفر يكشف أعمال فاجن 14
العيش مع عائلة براونلاو 16
خطف أوليفر 18
مجيء السيد بامبل إلى لندن 20
إحباط عمليّة سرقة 22
الكشف عن سرّ 24
فاجن يخطّط مع مونكس 26
منزل مايلي 28
حياة أوليفر الجديدة 30
مونكس يلتقي بالسيد والسيدة بامبل 34
الكشف عن مؤامرة 36
أوليفر يلتقي فاعل الخير 40
مَهمّة سرّيّة 42
جمع الشمل 44
هروب سايكس 47
واجتمعت العائلة 48

اليتيم الحزين

في إحدى دُورِ الأيتام، وَضعت امرأةٌ شابّةٌ طِفْلاً نَحيلاً وأخذتِ المُمرّضةُ العجوزُ تَهْتَمُّ به.

«اسمَحي لي أن أرى الطفلَ،» قالَتِ الأمُّ بِصَوْتٍ خافت.

وَضَعَ الطبيبُ الطِفلَ بيْنَ ذِراعَي الأمّ التي أخذت تُقبّلُه بحنانٍ على جَبينِه قبْلَ أن يَميلَ رأسُها على الوسادةِ وتفارقَ الحياة.

«مِن أين جاءَت؟» سألَ الطَّبيبُ.

«وَجَدْناها البارِحَةَ مساءً وأتَيْنا بِها إلى هنا،» أجابَتِ المُمَرّضةُ العجوز.

أَوْمأ الطبيبُ برأسِه وانصَرَفَ تارِكًا الطفْلَ في رِعايةِ المَسْؤولينَ عن المَيْتم. وقد سَمَّوْه «أوليفر تويست».

أَمْضى أوليفر سَنواتِه التِّسعَ الأولى في المَيْتم مَع أَوْلادٍ فُقَراء آخرين. وفي ذِكْرى ميلادِه التاسع، كان لا يزالُ صبيًّا شاحِبَ الوجه وضعيفَ البِنْية.

في ذلك اليوم، كانَت حياةُ أوليفر على وَشكِ أن تَتَغيَّر. فعند الظُّهر، أتى شَمّاسُ الكَنيسة، السيّدُ بامبل، ليُقابِلَ مسؤولةَ المَيْتم.

لَمْ تَكُن زِيارةُ السيّدِ بامبل مُتَوَقَّعةً، فهُرِعتِ المسؤولةُ لاستقبالِه.

«سُبحان الله! أتيتَ أنتَ بنفسِك، أيها السيّدُ بامبل؟» هَتَفَتْ مُتَظاهِرةً بِبَهْجةِ اللِّقاء. «يا لها من مُفاجأةٍ سارَّة!»

كان السيّدُ بامبل رجلاً متوسِّطَ العُمْرِ، سمينًا وسَيِّئَ المِزاج. لَم يكلِّفْ نَفْسَه عناءَ ردّ التحيّةِ، بل اكتفى بالقَوْل: «جِئْتُ يا سيّدتي لآخُذَ يَتيمًا يُدعى أوليفر تويست، بِحَسَبِ أوامِرِ المجْلس.»

استحمَّ أوليفر بِسُرْعةٍ وارْتدى ثيابًا نظيفةً ثمّ أقبلَ نحوَ السيّد بامبل.

وَقَبْل أنْ ينبِسَ ببنتِ شَفَةٍ، وَجَد نفسَه وهو يَلْحَقُ بالسيّدِ بامبل في الطريقِ وفي يَدِه قطعةُ خبزٍ وعلى رأسِه قُبّعة.

قادَ السيِّدُ بامبل أوليفر إلى صالةٍ بَيْضاءَ كَبيرةٍ حَيْثُ كانَ أعضاءُ المجلسِ جالِسين.

«ما اسمُك، يا صغيري؟» سأل الرجلُ الجالسُ إلى رأسِ الطاوِلة.

«أوليفر تويست، يا سيّدي.»

«حَسنًا يا أوليفر. أتَينا بِكَ إلى هنا لِنُثقّفَك وَنُعلّمَكَ مِهْنةً مُفيدة.»

«أجل... نعم، يا سيّدي،» أجابَ أوليفر.

ثُمّ أُخِذَ أوليفر إلى إحدى الغُرَف في الإصلاحيّة. وفي تلك الليلة، استَلْقى أوليفر فَوْق سريرِه الجديد، القاسي والخَشِن. وبكى حتّى غفا.

مسكينٌ أوليفر! فقد كانَ يَجْهلُ أنّ المَجْلسَ قد اتّخَذَ في ذلك اليومِ قرارًا مهمًّا بِشأْنِه!

كان سُجناءُ الإصلاحيَّةِ يخضعون لنظامٍ غذائيٍّ فقيرٍ، وهو عبارة عن كميةٍ قليلةٍ من البُرغُل ثلاثَ مَرّاتٍ في اليوم وَنِصْف كعكةٍ أيّامَ الآحاد.

مَضت بضعةُ أشهرٍ على أوليفر ورفاقِه وهم يُعانون من الجوعِ البطيء. أخيرًا، قرَّرَ الأولادُ أنّ على واحدٍ منهم أن يذهبَ إلى السيّد ليمبكنز ويطلُبَ منه المزيدَ من الطعام.

ووقعَ الخيارُ على أوليفر.

خلال السَّهرةِ، وفيما كانت حِصصُ الطعام تُوزّعُ على الأولاد، غمزوا أوليفر. نهضَ أوليفر عن كُرسيهِ على مَهْلٍ وتقدَّمَ صوْبَ المسؤولِ حامِلاً صحنَه وَمِلْعقتَهُ، وقال: «أرجوك يا سيّدي، أريدُ المزيدَ من الطعام.»

نظرَ السيّدُ إلى الصغيرِ المتمرِّدِ مصدومًا. ثُمّ رمى المِلعقةَ الكبيرةَ على رأسِ أوليفر وَتوجَّهَ مباشرةً نحو الشمّاس. وبعدَ حديثٍ طويل، قرَّرَ أعضاءُ المجلسِ وَضْع إعلانٍ على بوّابةِ الإصلاحيَّةِ يقضي بإعطاءِ مكافأةٍ لِمَن يأخذُ أوليفر ويعلّمُه إحدى المِهَن.

مبتدأ عند متعهّد دفن الموتى

بَقيَ أوليفر طيلةَ أسبوعٍ كاملٍ في غُرفةٍ مُظلمة. وكان هذا عِقابَه بسبب الذَّنْبِ الكبير الذي اقْتَرَفَهُ حينَ طَلَبَ المزيدَ مِنَ البُرغلِ. كان الطفلُ المسكينُ بائسًا.

أتى عدةُ أشخاصٍ يسألون عن أوليفر، وأخيرًا قرَّرَ المجلسُ تسليمَ الطِّفْلِ إلى السيّد ساوربري، مُتعهّد الرعيّة. وكان السيّدُ ساوربري رجلاً طويلَ القامَة ونحيفًا، يَرْتدي بَدْلةً سوداء.

إلّا أنّه لم يَبْدُ أنّ زوجةَ صانعِ التوابيتِ قد أحبّت أوليفر. فأخذتْه إلى غُرْفةٍ مُظْلِمةٍ ورَطْبَةٍ وناوَلتهُ قِطْعةَ لَحمٍ باردة قبل أن تَدُلَّهُ على سريرِه، وهو مجرَّدُ فِراشٍ مُلقًى بين توابيتَ من كلِّ الأحجام.

شَعرَ أوليفر بوَحدَةٍ وحزْنٍ أكثر مما كان يشعُرُ به من قبل، وتملَّكتْه أفكارٌ مُحبِطة. ففي هذا المكان، ما من عائلةٍ أو صديقٍ أو شخْصٍ يَعتني به. وَضَعَ رأسَه على الفِراشِ وسُرعان ما غفا.

في الصباح، استَيْقظَ على صَوْتِ ضربةٍ قَويّةٍ على بابِ الدُّكّان.

فتَحَ أوليفر البابَ فرأى صبيًّا يأكُلُ قِطْعةَ خُبزٍ بالزبدة.

«عفوًا، يا سيّدي،» قالَ أوليفر ببَراءة. «هل تريدُ تابوتًا؟»

عَقَد الولدُ حاجبَيْه وقالَ له: «سَنَضْرِبُك إذا أَلْقيتَ دُعاباتٍ مُماثلةً. أنا نواه كلاي، سوف تعمل تحت إشرافي.»

بَعْدَ لحظاتٍ، نَزَلَ السيّدُ ساوربري وأَطْلَعَ أوليفر على طريقةِ العَمل. وسُرْعان ما استَلْطَف السيّدُ ساوربري الصبيَّ الشابَّ وقَرَّرَ أن يُدرِّبَهُ ليُصْبِحَ ندّابًا في جنازات الأطفال.

كما توقَّع سَيّدُه، تَقدَّم أوليفر شيئًا فشيئًا إلى أن صارَ خبيرًا في عملِه. ولكنَّ هذا النجاحَ سبَّبَ له الكثيرَ من الأعداء.

كان نواه كلاي والسيّدة ساوربري يكرهان أوليفر. وكان السيدُ ساوربري الصديقَ الوحيدَ لأوليفر في العائلة. غيرَ أنَّ السيّدةَ ساوربري لم تُحبِّذْ الوضْعَ أبدًا وراحت تُعاملُ أوليفر بقَسْوَةٍ.

في أحَدِ الأيّام، تَمادَى نواه في شَتْمِ أوليفر وأُمِّه. وعَلى الرّغم مِن تَحْذيراتِ أوليفر له، استمرّ نواه في استِفْزازِه. إلا أنّ أوليفر فَقَدَ صَبْرَه في النّهايَةِ وَغَضِبَ كثيرًا. فأَمْسَكَ بِنواه مِن رَقَبَتِه وَهَزَّه بِغَضَبٍ شديد.

«سيَقْتُلني!» صاحَ نواه. «ساعِدوني! أوليفر مجنون!»

أَسْرَعت السيّدة ساوربري لإنقاذِه وصفعت أوليفر على وَجْهِه.

وفي هذه اللّحْظة، نَهَضَ نواه عن الأرض وأخذ هو والسيّدة يَضْربانِ أوليفر ثم أدخلاه إلى غُرفةٍ وأقفلا عليه.

«اركُض إلى السيّد بامبل، يا نواه!» قالَت السيّدة ساوربري. «اطْلُبْ مِنْه أن يأتيَ فورًا.»

هُرِعَ نواه كلاي إلى الإصلاحيَّةِ ولَمْ يتردَّدْ في إطلاعِ السيّدِ بامبل على القِصّةِ كما يَحْلُو له.

وَصَلَ السيّدُ بامبل مَذْعورًا إلى مكانِ عَمَلِ صانِعِ التوابيتِ برِفْقَةِ نُواه؛ ورأى أوليفر مُرْتديًا ثيابًا مُمزَّقة، وشَعْرُه مُبَعْثَرٌ وعلى وَجْهِه كدماتٌ وخُدوش.

وعندما وَصَلَ السيّدُ ساوربري تَمَّ إطْلاعُه عَمَّا حدث. «ولكنّك شابٌّ لطيفٌ، أليسَ كَذلك؟» سَأَلَ السيّد ساوربري.

«لَقَد شَتَمَ والدتي،» أجاب أوليفر.

«وإن يكن! أجابَتِ الزّوجَة. إنّها تستحقُّ ذلك.»

«كلّا!» صاحَ أوليفر.

انفجرت السيّدةُ ساوربري بالبُكاء. وكان بُكاؤها حيلةً مِنها لكي يَعمدَ السيّدُ ساوربري إلى ضربِ أوليفر. وهذا ما حَصَلَ، لأن الولدَ المسكينَ أَخذَ يتعرَّض إلى ضَرباتِ السيّدِ ساوربري والسيّد بامبل أيضًا. ثُمّ رُمِيَ في الغُرفةِ. ولكن فجأةً، وقبلَ طُلوعِ الفجر، استيقظ أوليفر وَفَتَحَ البابَ وهَرَبَ مِن المَنْزِلِ دون أن يلتفتَ إلى الوراء.

أوليفر يلجأ إلى لندن

راحَ أوليفر يَرْكُضُ وَيَخْتَبِئُ أحيانًا وراءَ الأَسْيِجَةِ خَوْفًا مِن أن يُلاحقَه أحد. ثُمَّ عِنْدَ الظُّهرِ، جَلَسَ عِنْدَ حافةِ الطريق ليرتاح، فوقعتْ عيناهُ على حَجَرٍ كُتِبَ عليه: 'سبعون ميلاً إلى لندن.'

فكَّرَ أوليفر في نفسِه: 'لندن! لا أحدَ – ولا حتّى السيّد بامبل – يُمكِنُه أن يعثُرَ عليّ في لندن!' وكان قَدْ سَمِعَ الكثيرَ عن هذه المدينةِ الكبيرةِ حينَ كانَ في الإصلاحيّة.

مَشى أوليفر طيلةَ سبعة أيّام حتى وصلَ إلى ضواحي لندن. وجَلَسَ على حافةِ الطّريقِ جائعًا وَتعبًا. وفيما كان يُراقِبُ الحاناتِ حَوْلَه والسيّاراتِ المارّة، اقتربَ مِنْه رجلٌ شابٌّ مُسْتَفْسِرًا.

«صباحُ الخَيْر، يا صديقي! لِماذا تَجلِسُ هنا وحدَك؟»

كانَ أوليفر متَّسخًا، أفطسَ الأنفِ ومسطَّحَ الجبين. وكان يرتَدي قُبَّعةً ومِعْطفًا طويلاً حتّى الرِّجْلَيْن.

«إنّي جائعٌ وتَعْبان. مَشيتُ سَبْعة أيّام،» قالَ أوليفر.

«سبعة أيّام!» قال الشابُّ مُتعجِّبًا. «حَسَنًا، تعالَ معي. أنْتَ جائعٌ ولا شكّ.»

اصْطَحبَ الشابُّ أوليفر إلى دُكّانٍ قريبٍ واشترى له لَحْمًا وخُبْزًا. فتناولَ أوليفر وجبةً لذيذة لأوّلِ مرّةٍ في حياتِه. وسُرْعان ما فَهِم الشابُّ أنّ أوليفر متَّجهٌ إلى لندن ولا مالَ لديه ولا مَأْوى.

«لا تقلَق. أنا ذاهبٌ إلى لُندن. وأعرِفُ رَجُلاً مُحْترَمًا هُناك. وسوف يَسمحُ لك بالنَّومِ عندَه بدون مقابل إذا عرَّفته بك.»

هَبطَ الليلُ فيما كانا يَمشيان نحو لندن. عَرَفَ أوليفر أنّ صديقَهُ الجديدَ اسمُه جاك داوكنز، وَهو معروفٌ باسم 'آرتفُل دودجر'.

وبعد أن عَبرا طُرقاتٍ مُوحِلةٍ وقاسيةٍ وَصَلا أخيرًا إلى لندن. توَقَّفَ جاك أمام بابٍ وفَتَحه. ثُمّ دخلَ مع أوليفر وصَعِدا سلَّمًا إلى غرفةٍ غير مرتَّبةٍ تَتوسَّطُها طاولةٌ أمامَ مِدْفأة. وكان يوجدُ على المدفأةِ مِقلاةٌ تُقْلَى فيها المَقانق.

وكانَ هناك رجلٌ عجوزٌ، شعرُه كثيفٌ ومبعثرٌ، وقد بانَت التجاعيدُ على وجهه. وكانَ يَحملُ شوكةَ بيدِه. من الجهةِ الأخرى، كانت توجَدُ أسرّة عديدة مصفوفةٌ جنبًا إلى جَنْب وبقرْبِها حَبْلُ غسيلٍ عُلّقت عليه مناديل. وكان أربعةُ أو خمسةُ صِبيانٍ واقفين أيضًا قربَ الرجلِ العجوز. تَمْتَمَ جاك بِسُرعَةٍ بِضْعَ كلمات أمام الأولادِ والرجل قبل أن يهتِفَ: «هذا صديقي أوليفر تويست، يا فاجن.»

«تُسعِدُني رؤيتُك يا أوليفر،» أجابَ فاجن. وبعد قليل، جَلَسَ الصِّبْيَةُ مع أوليفر وفاجن إلى الطاولةِ لتناوُلِ الطعام. غفا أوليفر من شدّةِ التعب فوضعوه في السرير.

في اليومِ التالي، استيقظَ أوليفر مُتأخّرًا بعدَ لَيْلةٍ طويلةٍ من النَّوْمِ الهنيء. كانَتِ الغُرفةُ فارغةً إلاّ من فاجن الذي كان يحضِّرُ القهوةَ. أخذ أوليفر يُراقِبُه وعيناهُ نصفُ مغلقتين.

رأى أوليفر فاجن يسحبُ بتأنٍّ صُندوقًا صغيرًا مِن فُتحةٍ في الأرضِ قُرْبَ الطاولة. وَضَعَ الصُندوقَ على الطاولة وفتَحَه، ثُمَّ أخذَ منه ساعاتٍ وخواتمَ ودبابيسَ وأساوِرَ ومُجَوْهراتٍ أخرى.

فَجْأةً، وَقَعَت عينا فاجن على وَجْهِ أوليفر الفُضوليّ فَأَغْلَقَ الصُّندوقَ فورًا.

«ماذا رأيتَ؟» سألَ فاجن.

«لَم أَسْتَطِعِ النومَ أكثر، يا سيّدي،» أجابَ أوليفر بخَجلٍ. «أعتذِرُ إذا أزعجتُك، يا سيّدي.»

«بالطّبع، أَعرِف ذلك،» قالَ فاجن بِنبْرَةٍ مُخْتلِفَةٍ. «أوليفر، هَذا كلُّ ما أملِكُ لأعيش. أَحْتَفِظُ به لشَيْخوختي.»

فَجْأة، قالَ فاجن: «أوليفر، انهضْ واغتسِلْ وتعالَ لِنَتَناوَلَ الفَطُورَ.»

وما كاد أوليفر ينتهي من اغتسالِه حتى وَصَل دودجر برفقةِ فتى شابٍّ عرَّفه بأنّه تشارلي بايتس.

«ما حصَّلْتُما؟» سألَ الرجلُ العجوز.

«بعضَ الكُتُبِ الصغيرةِ وأربعةَ مَناديل،» أجابَ دودجر.

«لا بأسَ بها،» قالَ فاجن مُتَفحّصًا المناديلَ.

بَعدَ الانتهاءِ من تناوُلِ الفَطورِ، لَعِب فاجن والشابّان لُعبةً غريبةً. وَضَعَ الرجلُ العجوزُ في جَيبِ مِعْطفِه عُلبةً وَمِحْفظةً وساعة. ثُمَّ راحَ يَتنقّلُ بسُرورٍ في أرجاءِ الغُرفةِ حاملاً عصًا بيدِهِ مقلّدًا الناسَ في الشارِع. كان يَتوقّفُ في بعضِ الأحيان وكأنّه يَستعرِضُ واجِهاتِ المحلّات. في هذه الأثناء، كانَ الشابّان يُلاحِقانه إلى أن داسَ دودجر على قدَمِه فيما ارتطَمَ به تشارلي من الوراء. وَبِسُرْعةِ البرْق، آخذا الأغراضَ من جَيْبِه. كرّر الجميعُ هذه الألعاب لأيّامٍ عِدّة وسُرعان ما علّموها لأوليفر.

أوليفر يكشف أعمال فاجن

ذاتَ يوم، أرسَلَ فاجنُ أوليفرَ مع دودجر وتشارلي بايتس.

في أوّلِ يوم عمل، وَقَفَ الصِّبْيانُ الثلاثةُ على حافةِ الطريقِ حينَ بدأ رفيقا أوليفر فجأةً يُلاحقانِ رجُلًا عجوزًا يَخْرُجُ من دُكّان. طَلَبَ دودجر وبايتس من أوليفر الانتظارَ والمراقبةَ والتعلّم.

وَكَمْ بلغ خوفُ أوليفر حينَ رأى دودجر يَدُسُّ يدَه في جَيْبِ الرجلِ العجوزِ ويسحَبُ منها مِنديلاً قبل أن يَهْرُبَ مع بايتس.

عندئذ فَهِمَ أوليفر نوعَ العَمَلِ الذي يقومُ به فاجن والصبيان. خافَ وانطلقَ راكضًا هائمًا على وجهِه.

في هذه اللحظة، وَضَع الرجلُ العجوزُ يدَه في جيبه وَوَجدَه فارغًا. فالتفت بغضبٍ ورأى أوليفر يركُضُ، فصاح: «أوقفِوا هذا اللص!»

انطلقَ الجميعُ لملاحقةِ أوليفر الذي تعب وَوَقَعَ أرضًا.

بعد قليلٍ، جاءَ شُرطيٌّ وأخذَ يُفتّشُ الولدَ تفتيشًا دقيقًا. لَمْ يعثُرْ على شيء. ومع ذلك أُودِعَ أوليفر السجن.

في هذا الوقت، كان السيّدُ براونلاو، وهو الرجلُ العجوزُ الذي سُرِق منه المنديلُ، يُراقب وجهَ أوليفر بفُضولٍ كبير.

بعد قليلٍ، مَثُلَ أوليفر تويست أمامَ القاضي. وكانَ خائفًا ومريضًا لدرجةٍ أنّه فَقَدَ وعيَه. وعندما أوشكَ القاضي على إعلانِ قرارِه، هُرِعَ رجلٌ متقدّمٌ في السن إلى المكانِ وَهَتَف قائلًا: «توقّفوا! انتظروا! لقد رأيْتُ كلَّ ما جرى. كانَ هُناكَ ثلاثةُ صبيان – السجينُ واثنان آخران– واقفين أمامَ متجري في الجانب المقابلِ من الطريق. إنَّ رفيقَيْه هما من ارتكبَ السَّرِقة. هذا الصبيّ بريء.»

بَعد هذه الشهادةِ، أُسْقِطَتْ كلُّ التُّهَم ضِدَّ أوليفر تويست.

حين خَرَجَ السيّدُ براونلاو من المَحْكمةِ، رأى أوليفر مُمَدَّدًا على مَقْعدٍ، وجهُه أبيضُ كالشَّبح. فأشفَقَ عليه واصطحبَهُ إلى مَنْزِله.

العيش مع عائلة براونلاو

كانَ أوليفر يُعاني مِن حُمَّى شديدة جعلَتْهُ طَريحَ الفِراشِ لعدة أيّام. أخيرًا، استيقظَ وهو ضَعيفٌ وشاحِبُ اللّون. وكانت امرأةٌ عَجوزٌ تقفُ قربَ سريرِه. فراحَ أوليفر يبكي خوفًا وقلقًا.

«اِهْدأ، يا عزيزي،» قالت بِنُعومةٍ. «اِستَلْقِ هنا.»

حينَ سَمِعَ أوليفر هذه الكلماتِ المُطمْئِنة غَرِقَ في السُّباتِ مرّة أخرى. وفي اليوم التالي، استَيْقظَ وأحسَّ أنّه سعيد. وكانت صِحّتُه تتحسّنُ أكثرَ فأكثر. في النهايةِ سأل: «أين أنا؟»

«هذا منزلُ السيّدِ براونلاو، يا عزيزي. سيأْتي قريبًا ليَراك!» قالتِ المرأةُ العَجوز.

في هذا الوقتِ، راحَ أوليفر يتأمّلُ صورةَ امرأةٍ مُعلّقةٍ على الحائط، ثم هتفَ قائلاً: «إنّها جميلة!»

في تِلك اللحظة، دَخلَ السيّدُ براونلاو الغُرْفَة وَسأل: «كيف تشعرُ يا بُنَيّ؟»

«إنّي مسرورٌ جدًّا، يا سيّدي. وأنا شاكرٌ لك كثيرًا. آملُ أنّك لسْتَ غاضِبًا منّي، يا سيّدي؟»

«كلا!» أجابَ السيّد براونلاو وَهو يُشيحُ بنظرِه بِسُرعةٍ عن عَيْنَيْ أوليفر البريئتَيْن.

«يا إلهي! ما هذا؟ سيّدة بدوين، انظري!» هَتَفَ السيّدُ براونلاو وَهو يشير بإصبعِه إلى صورةٍ فَوْقَ رأسِ أوليفر ثمّ إليه. وكانَ الشبه بين الاثنَيْن واضحًا.

بعد بِضْعةِ أيّام، طَلَبَ السيّدُ براونلاو رؤيةَ أوليفر في المكتَبِ. وبناءً على ذلك، نَزلَ أوليفر بثيابِه الجديدةِ إلى المكتب. وكانَ رجلٌ عجوزٌ يُدعى السيّد غريمويغ جالسًا مع براونلاو.

«هذا هو الشابُّ أوليفر الذي حدَّثتُكَ عنه،» قالَ السيّد براونلاو.

انحنى أوليفر احترامًا.

«كَيفَ حالُك أيّها الشاب؟» سأل السيّدُ غريمويغ وَهُو ينظرُ إلى أوليفر بانتباهٍ.

«أحسنُ بكثيرٍ، شكرًا يا سيّدي،» أجابَ أوليفر.

في تلكَ اللحظةِ، أحضرت السيّدةُ بدوين رُزْمَةَ كتبٍ ووَضَعَتْها على الطاوِلة. وحين هَمَّت بالرَّحيل، هَتَفَ السيّد براونلاو: «سيّدة بدوين! نادي شابَّ المكتبة. عِندي بعضُ الكُتبِ أريدُ أن أرُدَّها أيضًا.»

«لقد انصرفَ، يا سيّدي،» أجابَت السيّدةُ بدوين.

فقال أوليفر: «سيّدي، يُمكِنُني أن آخذَها إذا أردْتَ.»

«حسنًا يا أوليفر. خُذْ هذه الكتبَ وعُدْ بِسرْعةٍ،» قالَ السيّد براونلاو.

أَخَذَ أوليفر الكُتبَ وَهُرِعَ إلى المكتبَة.

ولكن شاءَتِ الصُّدَفُ ألاّ يتمكَّنَ أوليفر من العودَةِ إلى السيّد براونلاو تاركًا انطباعًا سيّئًا عنه.

في تلك الأثناء، كانَ فاجن وأحدُ رجالِ عصابتِه غاضِبين بِشَأن توقيف أوليفر. فاقترحَ سايكس قائلًا: «يجدرُ بأحدِنا أَنْ يذهبَ إلى مَخْفَرِ الشُّرطَةِ وَيَعرِفَ ما جرى مَعه.»

لكن لا يمكنُ لفاجن أو صبيانِه أن يقوموا بذلك، فقد يتعرّضون للاعتقال. ولذلك أرسلوا الفتاة نانسي إلى مَخْفرِ الشُرطة.

وهناك اكتشفت نانسي أنّ السيّدَ براونلاو قد أخذ أوليفر.

خطف أوليفر

وبَينما كان أوليفر يتَّجهُ إلى المكتبة وَحْدَه، شَعَرَ بِيَدٍ تَلتفُّ حوْلَ رَقَبتِه وتشدّ بعنف.

«اترُكْني!»صرخَ أوليفر وَهو يقاومُ.

صاحَتِ المرأةُ التي كانت قد أمسكَتْ به. «آه! لقد وجدتُه، إنه أوليفر!»

«نانسي! أهذه أنت!» قال أوليفر مُتعجِّبًا.

فجأةً قَفَزَ رجلٌ أمامَهُ وأخذَ يشدُّه مع نانسي. إنّه بيل سايكس.

حاولَ أوليفر أن يُقاوِمَ ويهرُبَ ولكنّ يَدَي سايكس كانتا أقوى مِن يدَيْه. لقد خَطَفوا أوليفر!

«ها هو!» هَتَفَ تشارلي بايتس حينَ رأى أوليفر. «آه، يا فاجن! انظرْ إليه! ثيابُه أنيقةٌ وفي يَدَيْه كتبٌ! صارَ أوليفر سيّدًا صغيرًا!»

«أنا سعيدٌ برؤيتك في حالٍ جيّدة، ياعزيزي،» قالَ فاجن مُنحَنِيًا أمَام أوليفر قبْل أن يأخُذَ الكُتُبَ من بين يَدَيْه. عِنْدَئِذٍ، فَهِم أوليفر أنَّهُ عادَ إلى الضّياعِ في أزقّةِ لندن المُظلِمَة.

مجيء السيد بامبل إلى لندن

بعدَ أيّامٍ من اختطافِ أوليفر، وَصَلَ السيّدُ بامبل إلى لندن في زيارةِ عَمَلٍ. لفتَه إعلانٌ على الطريق وردَ فيه:

خمسة جنيهات مكافأة

ضاعَ صبيٌّ شابّ اسمُه أوليفر في مِنْطقة بنتونفيل. كلُّ مَن يعرفُ عن حياتِهِ شيئًا أو يُساهِم في العُثور عليه يحصلُ على مكافأةٍ قدرُها خمسةُ جُنَيْهات.

وتحت الإعلان وَرَدَ وَصْفٌ لأوليفر وعنوانُ السيّد براونلاو.

تَوجَّهَ السيّد بامبل فورًا إلى منزلِ براونلاو. وحينَ وصلَ وجدَه مع صديقِه السيّد غريمويغ.

عرَّفَ السيّد بامبل بنفسه ثُمَّ أخبرَ الرَّجُلَيْن كلَّ ما يعرِفُه عن حياةِ أوليفر: وقالَ لهما إنّ أوليفر يتيمٌ وكاذبٌ وناكرٌ للجميل، وَقد هربَ من منزلِ سيّدِه.

استمعَ السيّدُ براونلاو إليه وقلبُه حزينٌ، ثُمَّ دَفعَ إلى السيّد بامبل خمسة جنيهات.

إحباط عمليّة سرقة

بعدَ عَوْدةِ أوليفر بوَقتٍ قليلٍ، أخَذَ فاجن وبيل سايكس يُخطّطانِ لعمليّةِ سَرِقَةٍ. ذَهَبَ أوليفر مع سايكس وطُلِبَ منه أن يَدخُلَ إلى أحدِ المنازلِ من النافذةِ. وكان مجرمٌ آخر اسمه توبي كراكيت قد زوّدَهُم بمعلوماتٍ عن هذا المنزل.

كان أوليفر يتساءلُ أحيانًا إلى أين يَتّجهون. ولكنّه لم يقُلْ أيَّ كَلِمة. في اللّيلِ، توقّفوا قُرْبَ جسرٍ يغطّيه الضبابُ والتقوا بتوبي كراكيت.

توجّه الثلاثةُ معًا نحوَ منزلٍ بعيدٍ مسيَّجٍ بجُدرانٍ. تسلّقَ توبي الحائطَ فورًا ونادى أوليفر. وقَبْلَ أن يفهمَ ما يجري، حَمَل سايكس أوليفر وأنزلَهُ من الجهة الثانية للحائط.

عندئذٍ، عرفَ أوليفر أنّ هدفَ الرِّحلةِ هو السَرِقةُ أو رُبَّما القتل. شدَّ يَدَيْهِ وراحَ يتوسّلُ وعيناهُ مُغرَوْرقتان بالدُّموع: «أرجوكم، دَعُوني وشأني! لا تُجبِروني على المُشاركةِ في هذه السرقة.»

غيرَ أنّ توسُّلاتِه لم تَلْقَ آذانًا صاغية. فقد جرَّه توبي إلى وراء المنزلِ ووَقَفَ تحتَ نافذةٍ صغيرةٍ تعلو خَمْسَة أقدام.

«والآن، اسمَعْ!» هَمَسَ سايكس لأوليفر وهو يُعْطيه فانوسًا. «سأُدخِلُك من هنا. خُذْ هذا الضوءَ ثمَّ اصعدِ السلالمَ على مَهْلٍ. اعبُرِ المدخلَ الصغيرَ حتّى البابِ الذي يؤدّي إلى الطريق وافتَحْه لِنَدْخُلَ.»

بعد ذلك، أُدْخِل أوليفر إلى المنزلِ عبرَ النافذةِ. في هذا الوقت، قرَّرَ أوليفر أن يُطلِقَ إنذارًا. وفيما كان يَصْعدُ السلالم بِعَصبيّةٍ، صرَخَ سايكس: «ارْجَعْ! عُدْ إلى هنا!»

أخافَه الصوتُ المفاجئُ، فلم يكن يعرفُ ما إذا كانَ عليه أن يهرُبَ أو يُتابع صُعودَه. في تلك اللحظةِ، ظَهَرَ رجلان في أعلى السلم.

رأى أوليفر ضوءًا خاطفًا تَبِعَه صوتُ انفجارٍ واصطدامٍ فتَعَثَّرَ.

التَقَطَهُ سايكس من قَميصِه وأطلَقَ النارَ من مسدّسِهِ على الشخصَيْن فيما كان يجرُّ أوليفر. «أعطوني شالاً!» قالَ سايكس وهو يُخرِجُ أوليفر من النافذة. «لقد ضرَبوا الولَد وها هُوَ ينزِفُ!»

بدأت الكِلابُ تنبحُ فاستيقظ سكّانُ المنزل. حَمَلَ سايكس أوليفر وهو فاقدُ الوَعْيِ وهرب اللصّان معًا.

الكشف عن سرّ

في تلك الليلة، كان الطقسُ باردًا جدًّا والثلجُ يتساقَطُ بقوّة.

جاءَت امرأةٌ عجوزٌ تزورُ السيّدةَ كورني، مسؤولةَ الإصلاحيّة التي وُلِدَ فيها أوليفر. كانت السيدةُ كورني تتناولُ كوبًا من الشاي مع السيّد بامبل.

«سيّدتي،» قالت المرأةُ العجوز، «العجوزُ سالي تحتضرُ. وتريدُ أن تُخبِرَك بأمرٍ هام.»

ومع أنَّ السيّدةَ كورني انزعَجَت مِن هذا الطلبِ، لكنها سارَعَت لرؤية العجوز سالي.

كانَتِ العجوزُ سالي ممدّدةً في غرفةٍ خفيفةِ الضوء، فجلَسَت السيّدةُ كورني إلى جانبِها.

«في هذه الغرفةِ، اعتَنَيْتُ مرّةً بامرأةٍ شابّة،» قالَتِ المرأةُ وهي على شفير المَوْت. «لقد وَلدَتْ طِفلاً ثمّ فارقَت الحياة.»

«وما قِصّتُها؟» سألتِ السيّدةُ كورني بشَغَفٍ شديد.

«لقد سَرَقْتُها،» أكملَتِ المرأةُ المريضةُ. «ما كانت تملِكُ سوى القليل من الذهب!»

طَلَبَتْ منّي أن أخبّئَه، ولكن الطَّمَع غلَبَني. أخذْتُ كلَّ شيءٍ بعدَ وفاتِها. يُشبهُ الطفلُ والِدَتَه كثيرًا.»

«وَمَنْ هو الوَلَدُ؟» سألَتِ السيّدةُ كورني.

«أوليفر تويست،» أجابَتِ المرأةُ بصوتٍ خافتٍ. ثُمَّ هَمْهَمَتْ شيئًا وأَغْمَضَت عَيْنَيْها. وقبل أن تُغادِرَ المكانَ، قامتِ السيّدةُ كورني وأخذَت ورقةً كانَت في يدِ المرأةِ المتوفّاة.

فاجن يخطّط مع مونكس

كان فاجن يَنْتَظِرُ بفارِغِ الصبْرِ أخبارَ السَّرِقةِ. وعندما وَصَل توبي كراكيت وقال: «لقد فَشِلَتِ العمليّةُ. ضَربوا الصَبِيَّ. ولَحِقَتْنا الكلابُ فَتَرَكْنا الولدَ فاقِدَ الوعي في إحدى الحُفَرِ.»

صَرَخَ فاجن صرخةً مدوِّيةً وخَرَجَ من المنزِلِ. وعندما وصل إلى زاويةِ الشارع، شاهد ظلاً قاتمًا يخرج من العَتَمَة.

«فاجن!» هَمَسَ الصوتُ. «لقد انتظرتُك ساعتَيْن!»

«مونكس!» هتَفَ فاجن.

قادَ فاجن مونكس إلى منزلِه وأخبرَه عن فَشَلِ عمليّةِ السرقة.

«أما كانَ بإمكانِك أن تجعلَه نشّالاً فقط؟» أجابَ مونكس غاضِبًا.

لزِمَ فاجن الصّمْتَ. أرادَ مونكس أن يُكمِلَ كلامَه ولكنّه لَمَحَ ظِلاً على الحائطِ المقابلِ، فَهَمَس فورًا: «يُوجدُ شخصٌ هنا! رأيْتُ ظلَّ امرأةٍ تمرُّ بسرعةٍ. وهي ترتدي مِعْطفًا وقُبَّعة.

هُرِعا إلى الخارج ولكنّهما لم يُشاهدا أحدًا.

منزل مايلي

استيقظَ أوليفر في الصّباح وأطلَقَ صرخةَ ألم. استَجْمَعَ قِواه ومَشى مُتَمايِلاً مُضطربًا نَحْوَ المنزلِ الذي كانَ عليه أنْ يَسرِقَه البارحة. صَعِد السلالمَ على مهلٍ ودَقَّ البابَ قليلاً، ثمّ فَقَدَ وَعْيَه عِنْدَ عتبةِ الباب.

فَتَحَ بريتلز البابَ، وما إن رأى أوليفر حتّى نادى كبيرَ الخدم، السيّد جيل، الذي عرِف الفتى على الفور. حَمَلَ السيّدُ جيل الفتى إلى بَهْوِ المَدْخَل. وعندما علِمت سيّدةُ المنزل بِشأنِ السارق الجريح أمرَت بطَلَبِ طبيبِ العائلةِ فورًا.

وَصَلَ الطبيبُ بسُرعةٍ وكانت بانتظارِه سيّدتان: إحداهما امرأةٌ مهيبةٌ في مُنْتصفِ العمر. إنّها السيّدة مايلي، ربّةُ المنزلِ. أمّا المرأةُ الثانية فَهِي ابنَة أخيها الجميلةُ، الآنسة روز مايلي.

تبعتِ السيّدتان الطبيب عندما توجّه لمُعاينةِ السارق. وكانتا تَتوقّعان رؤية مُجرم ملامحُ وجْهِهِ قاسية. وكم تفاجأتا حين وجدتا في السّريرِ ولدًا مُمدَّدًا، مُرْهقًا بِسببِ الألم والتّعب.

«كَيفَ يمكنُ لهذا الطِّفلِ المِسْكين أنْ يكونَ شريكَ لُصوص!» قالَتْ ماري بِتَعَجُّبٍ.

«كم هو يافع!» هَتَفَتْ روز. «لا شكَّ أن المُعامَلةَ السيِّئةَ والجوعَ دَفَعاه إلى معاشرةِ أشخاصٍ أشْرار. أرجوك يا عمّتي، لا تُرسليه إلى السّجن.»

«يا ابنَتي الحبيبة،» قالَتِ السيّدةُ مايلي، «لَنْ أُقدِمَ أبدًا على عملٍ مُماثل. كيفَ يُمْكِنُ أن أنقِذه، يا سيّدي؟»

«علَينا أنْ نسْألَ جيل وبريتلز إذا كانَ فِعْلاً مع اللّصوص،» أجابَ الطبيبُ. ولِحُسنِ الحظّ، لمْ يكونا أكيدَين.

هكَذا، أُتيحَتِ الشرْطةُ لتُحَقّق في مُحاولةِ السّرقةِ ولَم يُوَجّه أيّ اتّهامٍ إلى أوليفر.

حياة أوليفر الجديدة

ظلّ أوليفر يعاني من كُسورٍ وَمِن حَرارَةٍ مُرْتَفِعَةٍ خلالَ عدة أسابيعَ. غَيْرَ أنَّه استَعادَ قِواه شيئًا فشيئًا.

ذاتَ يومٍ، جَلَسَتِ السيدةُ مايلي وروز بالقربِ مِن سريرِهِ. شكرَهما أوليفر على لُطْفِهما وإنقاذِه وعيناهُ دامِعتان، ثُمّ أخبرَهُما قِصَّتَه الحزينة.

«أيّها المِسْكين!» صاحَت روز. وعندما حلَّ الربيعُ، انتقلَ أوليفر إلى بيتِ عائلةِ مايلي في الرّيفِ فَأمضى هُناك أجملَ أيّام حياتِه.

كانَ يَتَمَنّى مُنذُ زَمَنٍ طويلٍ أن يُفَسّرَ للسيّدِ براونلاو سَبَبَ عَدَمِ عَوْدتِه. لِذا، وبناءً على طلبِه، رافَقَه الطبيبُ لوسبرن إلى منزلِ السيّدِ براونلاو ذاتَ صباحٍ. ولكنَّهما اكتشفا أنّ السيّد براونلاو قد سافَرَ إلى أَرْضِ الهُنودِ في الغَرْبِ قَبلَ ستّة أسابيع، وأنَّ منزلَه معروضٌ للبيع. فخابَ أملُ أوليفر.

انقَضَتْ ثلاثةُ أشهرٍ وَمَرِضَت روز. نادَت السيّدةُ مايلي أوليفر وقالَت له: «أوليفر، يجب أن توصِلَ هذه الرسالةَ إلى الدكتور لوسبرن.»

جَرى أوليفر بأقصى سُرْعتِه إلى مكتَبِ البريدِ ليُرْسِلَ المكتوبَ. وحينَ وصلَ، سلَّمَ الرسالةَ إلى ساعي البريد. وفيما كانَ يَهُمُّ بالخروجِ، اصطدَمَ بِرَجُلٍ كبير القامَةِ يَرتَدي مِعْطفًا.

حينَ رأى الرجلُ أوليفر سألَه: «ماذا تفعلُ هنا؟»

ثُمَّ تقدَّم مِنْه كما لو أنه يُريدُ أن يَضْرِبَه، ولكنه وَقَع على الأَرْضِ بِقوّة.

لَمَح أوليفر شعرَه فَهبَّ يركُضُ إلى منزلِ مايلي.

في هذا الوقت، ساءَت حالةُ روز كثيرًا. أخبرَهم الطبيبُ أَنَّ فُرَصَ بقائها على قَيْدِ الحياةِ ضئيلةٌ.

أمْضى أوليفر تلك الليلة وَهْوَ يُصَلّي لِروز وَقَدْ خَيَّم الحُزْنُ على المنزل.

في مَساء اليوم التالي، وَصَلَ الطبيبُ لوسبرن وقال: «الوضعُ خطرٌ. الأملُ ضعيفٌ.»

ولكنْ بعدَ يومٍ واحدٍ، كانَ أوليفر والسيّدةُ مايلي جالسَيْنِ في المكتبِ حين دخلَ الطبيبُ إلى الصالةِ وقال: «ستعيشُ روز لسنواتٍ طويلة. لَقَدْ تَخَطَّتْ مَرْحلةَ الخطرِ.» عَمَّ الفرحُ الكبيرُ أرجاءَ المنزلِ وأسرَعَ أوليفر يَقْطُفُ ورودًا لروز.

حينَ رَجَعَ مع الورود، رأى شابًّا جميلاً يَدخلُ المنزلَ مع جيل. إنّه السيّد هاري مايلي، ابنُ السيّدةِ مايلي. وسُرْعانَ ما أصبحَ أوليفر صديقًا حميمًا له.

في الليلة التالية، كانَ أوليفر يقرأ، فغفَا والكتابُ بيدِه قُربَ النافذة.

فجأةً، شعرَ أنّه في منزلِ فاجن مرّةً أخرى. رأى فاجن يُشيرُ إليه بأصبَعِه ويَتهامَسُ معَ رجلٍ قربَه. ظنَّ أوليفر أنّه سَمعَ فاجن يَقولُ: «هذا أوليفر بالطّبع.»

هَتَفَ الرجلُ الثاني: «أوليفر! أهذا أنتَ؟ ماذا تفعلُ هنا؟»

في تلك اللّحظةِ، استيقظ أوليفر.

نَظَرَ حولَه ورأى فاجن يُحدّقُ به في الجِهةِ المُقابلةِ من الشارعِ. وكانَ الرجلُ الذي التقاه في البريدِ واقِفًا مَعَه.

رفَّ أوليفر عَيْنَيْه واختفى الرَّجُلان. ولكنّهما تَعرَّفا به. صاحَ أوليفر: «إنّه فاجن! ساعِدوني!» عِنْدَ سماعِ هذا الصراخ، أتى هاري مايلي وجيل مُسْرِعَيْن. ثمَّ خَرَجا يَبْحثان عن فاجن، ولكن لم يَعْثُرا على أيّ أثَرٍ له أو لرفيقِه.

بثّت هذه المصادفةُ الغريبةُ الخوفَ في قَلْبِ أوليفر.

في اليومِ التالي، أجرى هاري حديثًا مع روز التي تعافت تمامًا. وكان هاري وروز صديقَيْنِ منذ طفولتيهما وَهُما يحبّان بعضَهُما. عَبَّرَ هاري عن رَغبَتِه في الزواجِ من روز ولكنّها رَفَضَت.

«هاري، أنتَ تَعرفُ أنّ هناك وَصْمةً على اسمي ولا أريدُ أن يؤذِيَ ذلك طُموحَك،» قالَت روز وقد اغرَوْرقَتْ عيناها بالدّموع.

«إنّي أحترِمُ رَغْبتَكِ، ولكِن اسمَحي لي بِأَمْرٍ واحِدٍ،» أجابَ هاري. «اسمحي لي أن أُكلّمَك بشأن هذا الموضوعِ للمرّة الأخيرة.»

«مُوافِقة.» قالت روز بصوتِها الناعم.

في صباحِ اليوم التالي غادر هاري إلى لندن.

مونكس يلتقي بالسيد والسيدة بامبل

في هذا الوقتِ، كانَ السيّدُ بامبل قدْ تزوَّجَ من السيّدةِ كورني وصارَ مسؤولاً عن الإصلاحيّة. ولكن بعدَ مُرورِ شهرَيْن فقط على زواجِه، أصبحَ السيّدُ بامبل رجُلاً تعيسًا. ذات صباحٍ، وبعد جِدالٍ كبيرٍ مع زَوْجَتِه، تَوَجَّه السيّدُ بامبل إلى أحدِ الفنادق.

«أعرِفُك مِنْ قَبْل، أَلَيْسَ كذلك؟» قالَ رجلٌ غريبٌ عندما رأى السيّد بامبل. «أنتَ المسؤولُ عن الإصلاحيّة، أليس كذلك؟»

أومأ السيّدُ بامبل برأسِه إيجابًا.

«لَقَدْ جِئْتُ اليومَ بَحْثًا عَنْكَ، وشاءَتِ المصادفات أن ألْتَقِيَك هُنا،» أكْمَلَ الرجلُ الغريبُ مُبْتَسِمًا. «أودُّ أن أطلُبَ مِنْك بعضَ المَعْلومات.»

وألقى فورًا بِضْعَ قِطَعٍ من الذَهَبِ على الطاولة أمامَ السيّد بامبل الذي أخَذَها والطمعُ بادٍ عليه.

«لقد وُلدَ طِفْلٌ في الميتم منذ اثْنَتَي عَشْرةَ سنة،» قالَ الرجل. «كانَ يتعلّمُ مهنةَ عِنْد صانِع توابيتَ ولكنّه فرَّ إلى لندن.»

«أنْتَ تقصِدُ أوليفر تويست!» هَتَفَ السيّد بامبل.

«نعم! أنا أبحَثُ عَنِ المرأةِ التي اهتمَّتْ بِأُمِّه،» أجابَ الرجلُ الغريب.

«لقد تُوُفِّيَت في الشِتاء الماضي،» قال السيّدِ بامبل.

بَدا الرجلُ خائِبَ الظَّنِّ، ولمّا هَمَّ بالرَّحيل أعْلَمَه السيّد بامبل أنّ زوجتَه كانَتْ معَ العجوزِ سالي قبْلَ وَفاتِها.

عندئذٍ، كَتَبَ الرَّجلُ الغريبُ عنوانًا على ورقةٍ وقالَ: «أَحْضِرْها إلى هذا المكانِ عند الساعةِ التاسعةِ مساءً. اسمي مونكس.» ثُمَّ ذهب.

في اليومِ التالي، التقى السيّد بامبل وزَوْجَتُه بمونكس بين بعضِ المنازِلِ المُهدّمة. وحين دَخلوا، جَلَسوا إلى طاولةٍ في غرفةٍ كان الضوءُ فيها خافتًا. فسألَ مونكس: «أتَعرِفين يا سيّدتي لماذا أنتِ هنا؟

«نعم، أعرِفُ.» أجابَتِ السيّدة بامبل.

«إذن، ماذا قالت لك؟»

«أوّلاً، كم ستُعْطِيني مُقابِلَ كَلامي؟» قالت السيّدة مستفسرةً.

«الأمرُ مُرتَبِطٌ بما لديكِ من معلومات. رُبَّما لا قيمةَ للكلامِ وقد يَسْتَحِقُّ خمسة وعشرين جُنيهًا،» قالَ مونكس واضعًا المبلغَ على الطّاولة. فَأَمْسَكَت السيّدة بامبل بالجنيهات.

«أخبرَتْني العجوزُ سالي عن امرأةٍ شابّةٍ وَلَدَت ابنًا منذ بِضْع سنوات. وقد سَرَقَتِ العجوزُ ذَهَبَ الأمِّ. وَقالَت لي إنّ الوالدةَ طلَبَت مِنْها أن تحفظَ الذَهَبَ للوَلَد.»

«ولم تَبِعْه، أليس كذلك؟» سأل مونكس باحتداد.

«لَمْ تَقدِرِ المرأةُ العجوزُ أن تُضيفَ أيَّ كلمة. ولكنّني وجدْتُ نُسْخةً عن نصّ مقرِضِ الأموال في يدِها».

«أينَ هي؟،» ردّ مونكس بِسُرْعة.

«هنا!» أجابَتِ المرأة وهي تُلقي على عجلٍ كيسًا صغيرًا على الطاولة.

فتحَ مونكس الكيسَ ووَجَدَ ميداليّةً ذهبيّةً صغيرةً وفيها جديلَتا شعرٍ وخاتَمٌ من الذَّهب.

«محفورٌ عليه اسم 'آنياس'،» قالَتِ السيّدةُ بامبل. «وَهُناك فراغٌ لاسمِ العائلة يليه تاريخٌ يعودُ إلى سنةٍ قبل وِلادةِ الطفل. هذا كلّ شيء.»

«والآن، انصَرِفوا!» صَرَخَ مونكس.

الكشف عن مؤامرة

ذَهَبَ مونكس لِلقاء فاجن مرّةً أُخرى. وكانَت نانسي موجودةً أيضًا.

«أريدُ أن أُكلِّمَكَ على انفرادٍ،» قالَ مونكس.

اصْطَحَبَ فاجن مونكس إلى غُرفةٍ في الطّابِقِ العُلويِّ، إلاّ أنّ نانسي تَبِعَتْهما سِرًّا. أَصْغَت إلى الحديثِ وهُرِعتْ إلى الأسْفلِ. نَزِلَ الرّجلانِ بعْدَ دقائِقَ قليلةٍ وانصرَفَ مونكس فورًا. وما لَبِثَتْ نانسي أن انصرَفَت أيضًا وقد لاحَظَ فاجن أنّها مُضْطربة.

كانت نانسي مُضْطَربةً بِسبَبِ ما سَمِعَتْه. وعِوَضًا مِن أن تعودَ إلى المنزِل، توجَّهتْ إلى حيٍّ غَنِيٍّ في المدينةِ ودقَّتْ بابَ منزلِ عائِلةِ مايلي. وطَلَبَت لقاءَ الآنسة مايلي.

دَخلَتْ نانسي ثُمَّ وصلَت روز بعدها بقليل.

«مَنْ أنْتِ» سألت روز.

«أنا الفتاةُ التي أعادَت أوليفر الصّغيرَ إلى مَنزِلِ فاجن في اللّيلةِ التي أرادَ فيها أن يَرُدَّ كُتُبَ السيّد براونلاو،» قالت نانسي.

«أنتِ!» صاحَت روز مايلي.

«نعم، أيّتُها السيدة! أجابَت الفتاة. «لقد أتَيْتُ كي أعلمَك عن رِجالِ أشرارٍ وخطَّتِهم الفظيعة. هل تَعْرِفينَ أحدًا اسمه مونكس؟»

«كلاّ،» أجابت روز.

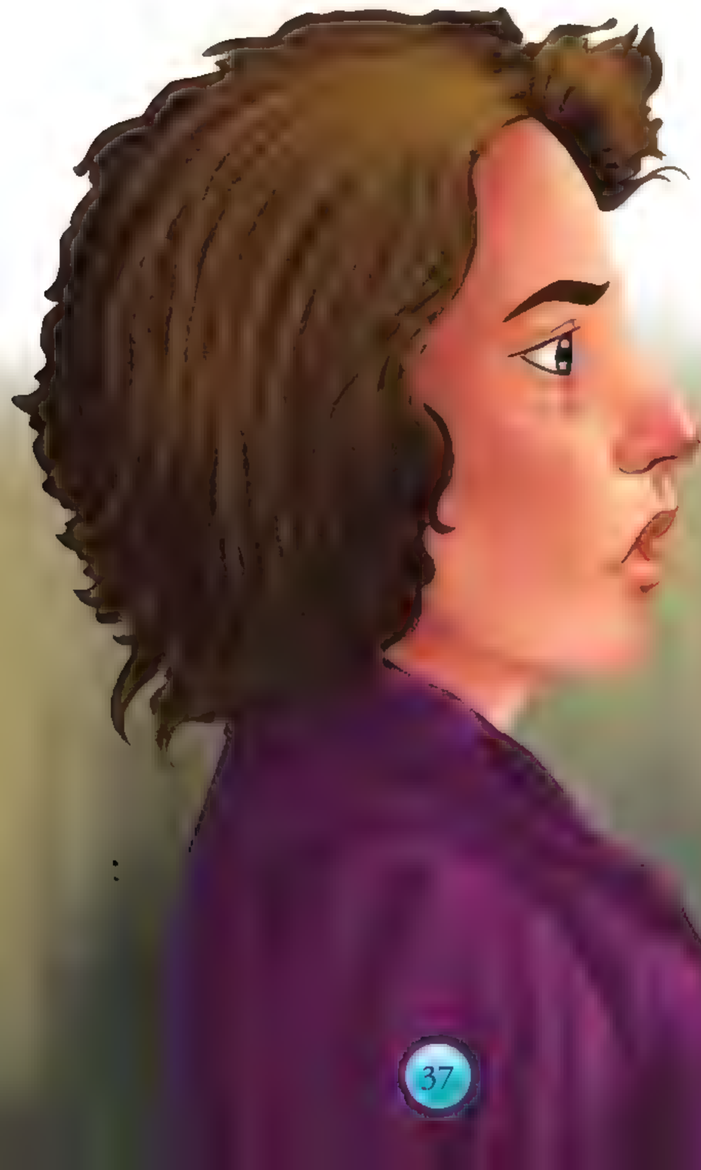

«ولكنّه يعرِفُك،» أجابت نانسي. «لقد سَمِعْتُه يتحدّثُ عن هذا المكان، وهكذا وجدتُك. لقد بدأْتُ أشكُّ بمونكس منذُ أن تمَّ إرسال أوليفر لسرقتِكم،» تابعت نانسي، ولكني عرفْتُ أنّ مونكس رأى أوليفر معَ أولاد فاجن. ثُمَّ، اكتشفتُ أنّ أوليفر هو الصّبي الذي كانَ يبحثُ عَنْه. فطلبَ مباشرةً من فاجن أن يجعلَه سارِقًا مقابلَ مبلغٍ كبيرٍ من المال.»

«سارقًا! ولكن لماذا؟» صاحَت روز.

«لا أعرِف يا سيّدتي،» أكملَت نانسي. «واليوم، أكّدَ مونكس لفاجن أنّ الإثباتَ الوحيدَ لِهُويّةِ أوليفر هو في قعْرِ النهر. وقالَ إنّه يملِكُ مالَ أوليفر وأنّه قد يكونُ من المسلّي أن يُمْسِيَ أوليفر لِصًّا. كان يتباهى بِرسْمِ فخٍّ لأخيه الصغير أوليفر.»

«أخوه!» قالت روز مدهوشةً.

«هذا ما قالَه،» أضافَت نانسي.

«ولكن كيفَ يُمكِنُني أن أساعِدَ أوليفر؟» سألَتْ روز.

«لا بدَّ أنّك تَعرفين رَجُلاً شابًّا تَثِقين به،» ردَّت نانسي.

«وأيْنَ أَلْتَقِي بِكِ؟» سألَتْ رُوز.

«أنا أمْشي على جِسْرِ لنْدن كلَّ أحدٍ عند المساءِ، مِنَ السّاعةِ الحادية عشرة إلى الثانية عشرة،» قالَت نانسي قبْلَ أن تَنصرِفَ.

أوليفر يلتقي فاعل الخير

كانت روز تشعرُ باضطرابٍ شديد. فعلى الرَّغم من أنها تريدُ حَتمًا حلَّ لُغْزِ قصّةِ أوليفر، لكنَّها لا تريدُ أن تُعرِّض نانسي إلى الخطرِ وتَخون ثِقتها. غَرقَتْ في أفكارِها إلى أن دخَل أوليفر الغُرفة يَتبعُه السيّد جيل.

«رأيْتُ السيّد براونلاو!» قالَ أوليفر لاهِثًا. ثُمَّ أخبرَ السيّد جيل كيفَ لمح السيّدَ براونلاو نازِلاً من عربةٍ فاستعلم عن بيتِه وعَرِفَ عُنوانه. عندئذٍ، قرَّرت روز أن تلتقِيَ الرجلَ العجوز.

بعد وقتٍ قليل، توقَّفتِ العربة أمام بابِ السيّد براونلاو.

تركت روز أوليفر في العربةِ ونَزلتْ. ثُمَّ دخلت إلى المكتبِ حَيْثُ كانَ بانتظارِها السيّد براونلاو مع السيّد غريمويغ.

وبعْد أن عرَّفت بنفسِها، قالت روز: «سأُفاجئُك بِدونِ أدنى شكّ، يا سيّدي. لقد تحلّيت مرّةً بالكثيرِ من اللُّطفِ تِجاهَ صديقٍ عزيزٍ لي، وهو أوليفر تويست.»

عُقِد لسانُ السيّد براونلاو ولَمْ يُجِبْ. فأكمَلت روز تُخْبِرُه ماذا حدث مع أوليفر منذُ أن تَرَكَ منزله.

«شكرًا لك أيها الربّ!» هَتَفَ الرجلُ العَجُوز. «أيْنَ هوَ الآن، يا آنِسَة مايلي؟»

«إنه يَنتظرُ في العربةِ أمامَ البابِ،» أجابَت روز. هُرِعَ السيّد براونلاو إلى الخارِج وعادَ بسُرعةٍ مع أوليفر. ورحَّب السيّدُ غريمويغ بالولَدِ كثيرًا. ثُمّ رنَّ السيّد براونلاو جرسَ السيّدة بدوين، مُربيّة المنزل.

حينَ جاءت المرأةُ العجوزُ، ألقى أوليفر بنفسِه بينَ ذِراعَيها فصرَخَتْ: «يا إلهي! هذا وَلدي البريء!» تَرك السيّدُ براونلاو أوليفر والسيّدةَ بدوين يتحادثان.

وَقَبْلَ أن تنصرِفَ، أخبرَتْ روز قصّة أوليفر الكاملة إلى السيّد براونلاو.

فاقترحَ هذا الأخيرُ إعلامَ الطبيب لوسبرن والسيّدة مايلي والسيّد هاري مايلي بِمَا يَحدُث بهدفِ إنقاذِ حياة أوليفر، فوافقت روز.

وبَعْد قَليلٍ، غادَرَت المكانَ مَع أوليفر.

مَهمّة سرّيّة

في هذا الوقْتِ، أصبحَ فاجن يَشُكُّ بنانسي. وقَدْ تَفاجأ حينَ طَلَبَتْ مِنْه الخُروجَ مساءَ يوم الأحد. وكانَتْ تبدو يائسةً.

وَهَكَذا، خَرَجَت نانسي في الأسبوعِ التالي ولَحقَها أحدُ رِجال فاجن. كانَت تَمشي على مَهْلٍ على جِسْرِ لندن. بعدَ قليل، توقَّفَتْ عَرَبةٌ قُربَها وترجَّلَ منها السيّد براونلاو وروز، فأسْرَعت نانسي نحوَهما.

«لم تأتِ إلى هنا الأحدَ الماضي،» قال السيّد براونلاو لنانسي.

«لم يُسمَحْ لي بالخروج،» أجابَت نانسي.

أخبرَ السيّد براونلاو نانسي أنّه على عِلْمٍ مع بعض الأصدقاءِ الموثوقين بِما قالَتْه لِروز، وقال: «والآن، يجب أن تأخذينا إلى فاجن!»

«فاجن! لا يُمكِنُني أن أخيِّبَ ظنَّه!» هَتَفَتْ نانسي.

«إذن، إلى مونكس!» أصَرَّ السيّدُ براونلاو. «لن يُصابَ فاجن بأيِّ مَكْروه.»

«صِفي لنا مونكس،» طلبَتْ روز.

«إنه طويلُ القامةِ ومَفْتولُ العَضَلات. يرتَدي عادةً ثيابًا غريبةً وَيتردّدُ غالبًا إلى فندقِ 'ثري كريبلز'. ويوجد على رقبتِه...»

«علامةٌ حمراء كبيرة، كأنّها حرق؟» أكمل السيّد براونلاو متسائلًا.

«نعم، كيف عَرَفتَ ذلك؟،» قالَتِ الفتاة.

«إنّه هو!» هَمَسَ السيّد براونلاو.

«عليّ أن أعودَ الآن!» قالَت نانسي وغادرت بسُرعةٍ.

في هذا الوقتِ، نَقلَ جاسوسُ فاجن الحديثَ إليه الذي نقلَه بدورِه إلى سايكس.

وفي الليل، رجعَ سايكس ووجدَ نانسي نائمةً فأيقظَها بِعُنفٍ.

«أهذا أنتَ يا بيل؟» قالَت نانسي.

اقتَصَرَ الجوابُ على: «نعم، أنا.» لكنَّ نبرةَ صوتِه بثَّتِ القلَقَ في نانسي. وفجأةً، أمسَكَ سايكس بِرقبةِ نانسي وصَرَخَ: «خائنة!»

جَحَظَت عينا نانسي مِنَ الخوفِ. ثُمَّ أخذَ سايكس مُسَدَّسًا وأطلقَ النارَ عليها فقتلها!

خرجَ سايكس من المنزلِ فورًا وتركَ لندن. ولكنَّ الخوفَ لاحَقَ المجرمَ المسكينَ فعادَ إلى المدينةِ الكبيرةِ واختبأ.

جمع الشمل

ترجَّلَ السيّدُ براونلاو أمامَ منزلِه من العربةِ. ولَحِقَه رجُلانِ مَفْتولا العَضَلاتِ ووقَفَ كلٌّ منهما على جانبٍ من الباب. ثُم وصلَ رجلٌ ثالثٌ وقادَه إلى داخِلِ المنزل. وكان الرجل الثالثُ مونكس!

دَخَلَ إلى المكتَبِ. «أغلقوا البابَ الخارجيّ وابقوا هناك،» قالَ السيّد براونلاو لِمرافِقَيْه. وأطاعَه الرَجُلان.

«إنّها مُعامَلةٌ جَيّدة من أَقْدم صديقٍ لأبي،» قالَ مونكس.

«لأنّي أَقْدمُ صديقٍ لأبيك، أعامِلُك بلُطْفٍ يا إدوارد ليفورد،» أردفَ السيّدُ براونلاو قائلاً.

«ماذا تريدُ منّي؟» سأل مونكس.

«لديك أخٌ،» أعلَنَ السيّد براونلاو. فتفاجأ مونكس.

«أنا على عِلْمٍ بالزواجِ التَّعيسِ الذي فرضَتْهُ العائلةُ على أبيك،» قالَ السيّد براونلاو.

«أنتَ ثمرةُ زواجٍ تعيسٍ.»

«في الواقِعِ، كانَ أبي وأمي مُنفصِلَيْن،» أجابَ مونكس.

بعد ذلك أخبرَ السيّدُ براونلاو مونكس أنّه حين انفصَلَ والدا هذا الأخير، وقَعَ أبوه في حبّ ابنةِ صديقِهِ الكُبرى.

«توفي والدك بشكلٍ غامضٍ في روما، بعدَ يومٍ من زيارةِ أمّك له. وقالَت والدتُك إنّ أباك لم يترُكْ أيّ وصيّة. ولكنّي أعلمُ أنّه تَرَكَ واحدةً.»

تابَعَ السيّدُ براونلاو قائلاً: «التقيْتُ بأبيك قبلَ أن يُسافِرَ إلى روما. أعطاني صورةً لحبيبتِه. إنّها لوحةٌ رَسَمَها. للأسف، كانت تلك المرّة الأخيرة التي رأيتُه فيها. وبعدَ وفاتِه، حاولْتُ أن أجِدَ المرأة لأنّها كانت حامِلةً، إلاّ أنّ عائلَتَها كانَتْ قَدْ تركَت لندن.

«ثُمّ، بعدَ سنواتٍ طويلة، التقيْتُ بأخيك أوليفر،» تابعَ السيد براونلاو قائلًا. «وفيما كان نائِمًا، صُدِمْتُ بالشّبه الكبيرِ بينه وبين المرأةِ التي تظهَرُ في اللوحة. ولكن، كما تعلم، أَخَذُوا مِنّي أوليفر قبلَ أن يتسنّى لي معرفةَ أيّ شيءٍ عنه.» تابعَ السيّد براونلاو.

«لا تستطيع أن تُثْبِتَ أيَّ شيءٍ ضِدّي،» قال مونكس بصوت خافت.

«سوف نرى،» رَدّ السيّدُ براونلاو. «سافَرْتُ إلى أراضي الهنودِ في الغرْبِ وأنا أبحثُ عنك. كانَت رِحْلَتي بِلا جدوى ولكنّي وجدتُك أخيرًا!»

«وكيف سَتُثبِتُ أنّ لأبي ولدًا آخر؟» قالَ مونكس وَقَد ارتسمَت ابتسامةٌ ماكرةٌ على وجهِهِ.

«أعرفُ أنّ أمَّك أتْلَفَتِ الوصيّةَ تارِكةً الأموالَ كلَّها لك. وقَدْ وَرَدَ في الوصيّة أنّ هناك ولدًا قَد يرى النور. لَقَد وجدْتَ هذا الطِّفل وقضيْتَ على كلِّ إثباتٍ لِصلَةِ القرابة. هل تنْكُرُ كلَّ المآسي التي تسبَّبْتَ بها لأخيك؟ هل سَتكشِفُ كلَّ شيءٍ الآن؟ هل ستعيدُ لأخيك حقوقَه؟»

«نَعَم، سَأفْعَل.»

في تِلْكَ اللحظةِ، دخلَ الطبيبُ لوسبرن الغرفةَ وأعْلنَ أنّه تمَّ العثورُ على سايكس وأنّه سيتمُّ إلقاءُ القبضِ عليه قريبًا. كما تمَّ اعتقال فاجن وحُكِمَ عليه بالإعدام.

هروب سايكس

في اللَّيلةِ نفسِها، عندَما دَخلَ سَايْكس الفندقَ، سَمِعَ ضربةً قويّةً على بابِ الطَّابِقِ الأرضيِّ وقدْ علَت أصواتٌ غاضِبة.

في وسطِ هذه الفوضى، سَمِعَ أيضًا صوتًا يُعلِنُ عن مكافأةٍ بقيمةِ خمسين ليرةٍ للشخصِ الذي يُلقي القبضَ على المجرِمِ حيًّا. وقد جذَبَ العرضُ الناسَ فهجموا على الفندق للقبض على المجرم، فكسروا حائطه وأسْرَعوا إلى الداخل.

دَبَّ الرُعبُ في قلبِ سايكس فحاولَ الهرب. صعدَ إلى سطحِ الفُندقِ على حبلٍ. ولكن، فيما كانَ يصعدُ، التفَّ الحبلُ حول عُنُقِه، فوقَعَ واشتدَّتْ عقدةُ الحبلِ حول عنقِه. أخيرًا، وبِضَرْبةٍ قاضِية، أمسى المجرمُ مشنوقًا على حائِطِ الفندق.

واجتمعت العائلة

بعدَ يومَيْنِ من الحادِثةِ، توجَّهَ أوليفر والسيّدةُ مايلي وروز والسيّدةُ بدوين والسيّدُ غريمويغ والطبيبُ لوسبرن إلى منزلِ السيّد براونلاو.

كان السيّدُ براونلاو يَنتظِرُهم ومَعَه مونكس. وحينَ جلسَ الجميع، أشارَ السيّدُ براونلاو إلى أوليفر وسألَ مونكس: «هذا الولدُ هو شقيقُك، ابنُ أبيك. أمُّه هي آنياس فليمنغ.»

«نعم،» أكَّدَ مونكس.

ثمَّ، استدارَ السيّد براونلاو نحوَ روز وقالَ: «عزيزتي، أنتِ الأختُ الصُغرى لآنياس، وبالتالي أوليفر هو ابنُ أُخْتِك. بعدَ وفاةِ والدِك، عثرَتْ عليكِ السيّدةُ مايلي مع مُزارِعينَ فُقَراءَ فأخَذَتْكِ معَها.»

فورَ سَماعِهما هَذا الخَبَر، أخذ روز وأوليفر يتعانقان. وفي هذِهِ اللحظةِ الحُلوةِ والمُرّة، اجتَمَعَ شملُ العائلة. وعلى الفورِ، طلَبَ هاري يدَ روز التي وافَقَت على الزواج مِنه.

تبنّى السيّدُ براونلاو أوليفر. وحصلَ الولدُ على حُقوقِه من أملاك أبيه. وورِثَ مونكس أيضًا حِصّتَه ولكنّه بَذَّرَها.

وهكَذا أصْبَحَ للولدِ الذي عرفَ حياةً بائسةً في الإصلاحيّةِ عائلةٌ حنونةٌ، وبات الفرحُ والسعادة يغمرانه.

أوليفر تويست

... قادَ السيّدُ بامبل أوليفر إلى صالةٍ بَيْضاءَ كَبيرةٍ حَيْثُ كانَ أعضاءُ المجلسِ جالسين.

«ما اسمُك، يا صغيري؟» سأل الرجلُ الجالسُ إلى رأسِ الطاولة.

«أوليفر تويست، يا سيّدي.»

«حَسنًا يا أوليفر. أَتينا بِكَ إلى هنا لِنُثقّفك وَنُعلّمَكَ مِهْنَةً مُفيدة.»

ثُمّ أُخِذَ أوليفر إلى إحدى الغُرَف في الإصلاحيّة. وفي تلك الليلة، استَلْقى أوليفر فَوْق سريرِه الجَديد، القاسي والخَشِن. وبكى حتّى غفا. مسكينٌ أوليفر! فقد كانَ يَجْهلُ أنّ المَجْلسَ قد اتّخَذَ في ذلك اليوم قرارًا مهمًّا بِشَأْنه ...

صدر من هذه السلسلة:

- كنوز الملك سليمان
- رحلة إلى باطن الأرض
- عائلة روبنسون السويسريّة
- عشرون ألف فرسخ تحت الماء
- أوليفر تويست
- أحدب نوتردام
- أطفال سكّة الحديد
- الفرسان الثلاثة
- ديفيد كوبرفيلد
- الحديقة السريّة
- توم سوير
- كتاب الأدغال

ISBN: 978-9953-37-937-1

تم تصنيف هذه القصة وفق معايير «عربي 21» لتصنيف كتب أدب الأطفال العربي، وقد صنف مستوى «ص»، «متقن أدنى» السنة السابعة والثامنة

أكاديميا